تأصيل مقصدي الاعتدال والسلام في شريعة الإسلام وأثرهما في ظل الأفكار المعاصرة

الأستاذ الدكتور
صهيب عباس عودة
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
ed.sahib.abbas@uoanbar.edu.iq

الأستاذ الدكتور
أحمد ختال مخلف
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
ed.ahmed.khtal@uoanbar.edu.iq

ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722

ISSN (Online): 2706 -8722 ISSN (Print): 2071-6028

ملخص باللغة العربية

أ.د. صهيب عباس عودة
أ.د. احمد ختال مخلف

يهدف هذا البحث الى بيان مقصدين ضروريين من مقاصد الشريعة السمحاء، جاءا لحفظ الدين والنفس والفكر، ليبنيا أجيالا واعية محصنة فكريا بالسعة وقبول الآخرين، ترغب الناس في دين الله تعالى، وتدعوهم الى منهج الحق بالحكمة والموعظة الحسنة من غير تعنيف ولا توبيخ ولا عداوة ولا كراهية تحقيقا لقوله تعالى (إن أريد الا الإصلاح ما استطعت) فتحرر العقول من الأوهام والأوهام، وتقودهم الى بر الأمان بأمان، فرسخت الشريعة هذين المقصدين في أذهان المسلمين ليكونوا فيما بعد دعاة حياة لا موت، وحب لا بغض، وسلام لا سيف، ليتبين أن العفو والسلامة هما السمة السائدة التي امتازت بها هذه الشريعة وما سواها لا يمت إليها بصلة، ومن ثمة تم تأصيل مبدأ ان الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، فلذا جاء هذا البحث مبينا لجوانب هذا الملخص من خلال الاتي: المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره. المبحث الاول: بيان مصطلحات العنوان. المبحث الثاني: تأصيل مقصدي الاعتدال والسلام. المبحث الثالث: أهمية الاعتدال والسلام في نشر التعايش السلمي وبناء القيم. المبحث الرابع: منهج الإسلامية في تطبيق مقصد الاعتدال والسلام في الواقع المعاصر. الخاتمة: وفيها اهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الاعتدال، السلام، مقصد

ISSN (Online): 2706 -8722 ISSN (Print): 2071-6028

ROOTING THE TWO PURPOSES OF MODERATION AND PEACE IN ISLAMIC LAW AND THEIR IMPACT ON CONTEMPORARY IDEAS

Prof. Dr. Suhaib Abbas Uoda
Prof. Dr. Ahmad Khattal Mukhlef

Summary: *This research aims to clarify two necessary objectives of the purposes of the tolerant Sharia، which came to preserve the religion، the soul and thought، in order to build conscious generations that are intellectually immune to the capacity and acceptance of others، who desire people in the religion of God Almighty، and invite them to the right approach with wisdom and good advice without violence، reprimand، hostility or hatred In fulfillment of the Almighty's saying (I desire nothing but reform as much as I can)، minds are freed from illusions and illusions، and lead them to safety in safety. The Sharia has established these two aims in the minds of Muslims so that they will later be advocates of life and not death، love and not hate، and peace not sword، to make it clear that forgiveness and safety They are the dominant feature that distinguished this Sharia and everything else has nothing to do with it، and from there the principle was rooted that an error in forgiveness is better than a mistake in punishment، so this research came to clarify the aspects of this summary through the following: Introduction: It contains the importance of the topic and the reason for choosing it. The first topic: a statement of title terms. The second topic: Rooting the objectives of moderation and peace. The third topic: the importance of moderation and peace in spreading peaceful coexistence and building values. The fourth topic: The approach of Islamism in applying the objective of moderation and peace in contemporary reality. Conclusion: It contains the most important findings of the research.*

Keywords: Sobriety، peace، Effect، Thoughts، destination

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي ختم الشرائع بدين الإسلام، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة والسلام وعلى آله وأصحابه هداة الأنام... وبعد:

فشريعة الإسلام هي الشريعة البيضاء النقية التي سادت العالم وقادته على مدى قرون طويلة، وفق نظام الهي متقن بناء، صالح لكل زمان ومكان، هدى البشرية لسبل النجاة وطوق الأمان، وراعى الفوارق والتعددية فشملت أحكامه عامة الناس، فأصبحت رسالة خاتمة خالدة إلى يوم القيامة، فنشرت مبادئ تقويمية ومقاصد كلية سامية تدعوا إلى الاعتدال، والسماحة والتوازن، ومسايرة الفطرة الإنسانية، والواقع المعيشي، ومراعاة اختلاف الأمزجة والميول والنزعات والرغائب، وإقرار الأمن والسلام، والحرص على تطبيق العدل والمساواة والحرية، وصون الكرامة الإنسانية، وكل ما من شأنه الحفاظ على حقوق الإنسان، والإشادة بالبناء العقدي الراسخ والبعد عن كل عوامل الهدم والضعف والأساطير والخرافات، والوصول إلى تحقيق هذه الغايات السامية وفق منهج علمي رصين وحكمة بالغة نابعة من منبع الوحي من غير تأويل ولا تحريف، وذا يتطلب إدراك مفاهيم الإسلام في علاقته مع الأفراد والشعوب والأمم والدول على حد سواء، حتى لا تهتز الثقة بشريعة الوحي الإلهي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة، ويلمس كل إنسان أن المصلحة الحقيقية والتماس النجاح أو النجاة، والاطمئنان والراحة النفسية تتجسد كلها في الخطاب الإلهي التشريعي العقدي والتعبدي والتعاملي والأخلاقي والسلوكي والاقتصادي والإنساني، والفقه الحضاري القويم القائم على التجرد والموضوعية والتعادل في التبادل، والاستقرار والشمول، والواقعية المنسجمة مع المثل العليا القائمة على محبة الخير والإحسان، والتضحية والإيثار، والأخوة الإنسانية، والاعتقاد الحق، وترسيخ معالم المدنية والتحضر، وتوفير الشعور بالطمأنينة والإحساس بالسعادة الغامرة في عالم الدنيا والآخرة، ولا سيما في عصرنا الحاضر حيث يتعرض الإسلام وأهله لتحديات خطيرة، واتهامات

مغرضة، وافتراءات وأباطيل في مظلة بما سموه الإرهاب والعنف والتطرف، والإسلام منه براء، وهذا يتطلب إلقاء الضوء على نصوص الإسلام، وبيان مقاصده.

ولقد جاء منهج الوسطية من خلال القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً وإيماء، مفصلاً ومجملاً، خبرًا وإنشاءً، أمرًا ونهياً، وغاية الامر ان ذلك يحتاج الى الإصغاء لنداء الوجدان والضمير، والعقل والحكمة، والعدالة المجردة، دون تعصب ولا تشتت، ومن أولويات الاصغاء النظر في المشتركات بين الفرق والأديان المختلفة فهي التي تقرب البعيد، وتضيق مجال الاختلافات، وتمسح لقبول الراي والرأي الاخر، لتحقيق مبدأ نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وهذه المشتركات كثيرة ولاسيما في المجالات الدينية الكبرى.

مشكلة البحث: النظر في مقاصد النصوص الشرعية التي تحصن الفكر وتدعوه لفكر معتدل يقوده لسلوك معتدل لتحقيق السلم المجتمعي، فلابد للخوض في هذا المنهج والكشف عن السمات التي يتحلى بها منهج الافكار السوية الصحيحة وتميزها عن غيرها من الافكار المتطرفة، لأن كل المتطرفين يزعمون لأنفسهم أنهم أصحاب فكر وسطي معتدل، وأن أفكارهم العنيفة ليست سوى نتاج لما ورد في المصادر الأصلية لهذا الدين.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره

المبحث الاول: بيان مصطلحات العنوان

المبحث الثاني: تأصيل مقصدي الاعتدال والسلام.

المبحث الثالث: أهمية الاعتدال والسلام في نشر التعايش السلمي وبناء القيم.

المبحث الرابع: منهج الإسلامية في تطبيق مقصد الاعتدال والسلام في الواقع المعاصر.

الخاتمة: وفيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الأول:

بيان مصطلحات العنوان

حوى العنوان جملة متعددة الألفاظ، سنقتصر منها على أبرزها مما يتوقف عليه محور البحث وهي: الاعتدال، والسلام، والأفكار المعاصرة.

أولا: بيان معنى الاعتدال:

في اللغة: ضد الميل والجور والانحراف، مأخوذ من العدل يقال: عدل واعتدل: فهو الحالة المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط(١)، كما تأتي بمعنى: الاستقامة، قال الجوهري يقال: عدلته فاعتدل أي قومته فاستقام(٢).

في الاصطلاح: التزام منهج الموازنة بين التفريط والتقصير للوصول الى المبادئ الكلية العامة والمقاصد العلية في جلب المصالح ودرء المفاسد(٣).

ثانيا: بيان معنى السلام:

في اللغة: مشتق من سلِم بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ومادته س ل م لها معان عدة لا تخرج عن الأمان والتصالح والسلامة من كل ما يؤذي قال الفراهيدي: السَّلام يكون بمعنَى السَّلامة(٤). وقال ابن منظور: (السَّلْمُ) الصُّلْحُ. وَالسِّلْمُ الْمُسَالِمُ تَقُولُ: أَنَا سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَنِي. وَالسَّلَامُ السَّلَامَةُ والِاسْتِسْلَامُ(٥).

في الاصطلاح: حالة من الامان والاستقرار تسود الناس، بالتحرر من الخوف من العنف والحرب(٦).

---

(١) ينظر: النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب المقدمة، ٥٥، المطلع على أبواب المقنع ص: ٨٨.

(٢) ينظر: لسان العرب، ٤٣٠/١١. مادة عدل. والكليات ص: ١٥٠، المفردات، ص٥٥١.

(3) http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1462449507fix9sub1file.htm–6 ص

(٤) ينظر: العين ٢٦٥/٧، المحكم والمحيط الأعظم ٥١٢/٨.

(٥) ينظر: لسان العرب ٢٠٧٧/٣. ومختار الصحاح ص: ١٥٣.

(٦) ينظر: السلم واللاعنف في حكومة الرسول ﷺ، مجلة النبأ العدد ٥٨–ربيع الأول ١٤٢٢/حزيران ٢٠٠١.

ثالثا: بيان معنى الأفكار:

في اللغة: جمع فكر تكاد كلمة اللغة ان تتفق على ان معناها، تردد القلب في الشي، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، رجل فكير: كثير الفكر(١).

في الاصطلاح: عمليّةٌ يقومُ بها العقل من خلال منظومة من النشاطات حين يتعرض لمثير حِسي أو فكري، يجعلهُ يعيد ترتيب هذه المنطومة بطريقة تُناسب المثير الذي أحدثها، لإيجاد حل أو رؤية أو معالجة معينة لأمور والتدقيق فيها رغبة للوصول إلى المطلوب(٢). وقيل: ترتيب أمور معلومة للوصول إلى مجهول(٣).

أما الفكر الاسلامي بصورة خاصة: فهو ما أنتجه وما ينتجه العقل المسلم من خلال تعامله مع النصوص الإسلامية وفق منهج علمي(٤).

ذلك أن بحوث علماء المسلمين في أية قضية إنما تجمع بين اجتهادهم كمطلب للبحث لابد فيه من إعمال العقل، ونصوص من الكتاب والسنة يستندون إليها نقطة انطلاق ومرجع تحكيم، كل ذلك في ضوء ربط نتائج البحوث بحياة الناس في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية، ويستمر وجوده وفاعليته يقدر ما يقدم للحياة من عطاء تحتاجه الحياة، ويسهم في خدمة الأحياء وبصفة خاصة الإنسان(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٤٤٦/٤، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٤٧٩/٢.

(٢) ينظر: دراسات في الفكر الإسلامي، ص ٧ الدكتور أبو اليزيد أبو زيد العجمي كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٣) ينظر: التعريفات ص: ١٦٨.

(٤) ينظر: دراسات في الفكر الإسلامي، ص ٧، الدكتور أبو اليزيد أبو زيد العجمي كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٥) ينظر: دراسات في الفكر الإسلامي، ص ٧.

المبحث الثاني:

تأصيل مقصدي الاعتدال والسلام

شريعة الإسلام منهج إصلاح واجتماعي متكامل، ودين تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، وترجيح الأولويات الكبرى ودين الموازنة بين الخير والشر، فهو ليس نظاما تعبديا فحسب، وإنما هو نظام اقتصادي، وتربوي، وسياسي، واجتماعي، في كلياته وجزئياته، الأصولية أو الفرعية، فهو دين سلم وسلام، وأمن وطمانينة، ودين يسر ووسطية واعتدال(١)، وهذا ما حققته نصوصه وبينته مقاصده، وسنتعرف على ذلك بفرعي التأصيل الآتي:

الفرع الأول: تأصيل مقصد الاعتدال

الاعتدال منهج حق وطريق صدق، شرعه الله تعالى سبيلا للهدى والرشاد، وتقويما لأفعال العباد، لتحقيق مبدأ التعايش الذي يقوم على المشتركات ونبذ المختلفات، فهو مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية قائم على العدل والميزان والقسط وتوحيد الكلمة بين الناس، بعيدا عن الإفراط والتفريط والغلوّ والجحود، يعارض التطرف والتعصب، ويدعو إلى التعددية الثقافية والدينية والحضارية وينبذ العنصرية، فهو الوسط في كل شيء(٢)، ومن ثمة يقول الإمام الشاطبي رحمه الله "الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل، والآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه"(٣)، وبمثل قوله قال الامام العز بن عبد السلام " وعلى الجملة فالأولى بالمرء ألا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة، أو درء مفسدة مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير"، وبذلك صرح

---

(١) ينظر: مقومات السلم المدني المتضمنة في وثيقة المدينة، فاطمة أنهيشم
https://www.islamanar.com/elements-civil-peace

(٢) ينظر: دعوة الإسلام إلى السلم، محمد شاه جلال، محاضر: في قسم الدعوة والدراسات الإسلامية، لجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الثالث، ديسمبر ٢٠٠٦

(٣) الموافقات للامام الشاطبي ٢/٢٧٩.

ابن القيم الجوزية فبين أن خير الناس النمط الأوسط بعيداً عن تقصير المفرطين وغلو المعتدين، فقال: "وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين"، والمتتبع لنصوص الشريعة يجدها ملئت اعتدالا وتوازانا وتوسطا في جميع مجالات الحياة التفصيلية، ولكن سنسرد منها النصوص العامة التي جاءت مبينة لهذا المقصد مع وجه الدلالة:

أولا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(١).

وجه الدلالة: أمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا شهداء بالعدل فى أوليائهم وأعدائهم على حد سواء، من غير جور وتعد ومجاوزة في الأحكام والأفعال، وذا قمة الانصاف حين قال "ولا يجرمنكم شنآن قوم"(٢)، فهي صورة كاشفة لاعتدال معنوي. فحتى أولئك الذين تكون طبيعة العلاقة معهم في غاية العداوة وفي غاية الكراهية، والصراع الحاد، الذي تعبر عنه لفظة "شنآن" لا ينبغي أن نقيمهم تحت وطأة الحساسية والمشاعر السلبية ضدهم، بل لا بد أن نعدل معهم فيما هي الحقوق المادية.

ثانيا: قال الله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وجه الدلالة: مدح الله الأمة المعتدلة وهي التي تلزم الحد الوسط، لأن مقتصدة هي العادلة غير غالي، ولا مقصرة جافية، إذ الاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، وهذا يبين بوضوح تام ان الاعتدال ومراعاته مقصد كلي عام من مقاصد هذا الدين يجب على كل امة ان تحتكم به واليه.

---

(١) سورة المائدة، الاية ٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٩٥/١٠.

(٣) سور المائدة، الاية ٦٦.

ثالثا: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١).

وجه الدلالة: تحذير واضح من الوقوع في الغلو في الدين، لان الغلو في الدين هو من أخطر أنواع الغلو، لأن التعصب والتطرف يُلبَسان لَبوسا من القداسة التي تمنع مناقشتها ناهيك عن تصحيحها(٢).

رابعا: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾(٣).

وجه الدلالة: اخبر تعالى عن ميزة هذه الامة وسماتها لتكون امة الشهادة، فكانت خيارا عدولا، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم، لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء.

خامسا: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾(٤).

وجه الدلالة: التحذير من بخس الناس أشياءهم على مستوى الحقوق المادية والمعنوية، من أجل ألا نظلم الناس في حقوقهم مادية كانت أو معنوية. من هنا يمكن أن يكون أحد مصاديق النهي عن بخس الناس أشياءهم هو النهي عن غبنهم في حقهم المعنوي عندما يجري تقييمهم. وهذا البخس والغبن ينتج على الأعم الأغلب عن التعصب والتطرف، المقترن بالتعميم والإطلاق في التقييم والانطلاق من الأحكام المسبقة لا النظرة التقييمية الموضوعية، وذلك من خلال أن التطرف والتعصب يجعل صاحبه يتعامل مع

(١) سورة المائدة، الاية ٧٧.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للطنطاوي ٢٤٥/٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٤) سورة الأعراف، الاية ٨٥.

الآخرين من موقع الحساسية المفرطة والمشاعر العاطفية السلبية تجاههم، فيخضع تقييمه لتلك المشاعر.

سادسا: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

وجه الدلالة: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(٢)، أي: هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال، هذا وتعتبر هذه الآية الكريمة من أجمع الآيات التي تهدى الناس إلى طريق الحق بأسلوب منطقي رصين، ولذا كان النبي ﷺ يكتبها في بعض رسائله التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء ليدعوهم إلى الإسلام(٣).

سابعا: قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٤).

وجه الدلالة: تحديد مشروعية العلاقة بين الناس، وأنها منفتحة وليست مغلقة مالم يكن هناك تعد من الطرف الثاني، فالبر هو أقصى أنواع التعامل الإنساني الودود، فهذه الاية تشهد على أن العقيدة واختلاف الدين لا تمنع من تجسيد إنسانية الإسلام في التعامل مع الآخر.

---

(١) سورة ال عمران، الآية ٦٤.

(٢) سورة ال عمران، الآية ٦٤.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف ٦٦/٣، وتفسير السعدي ٧٩٥/١، والتفسير الوسيط ١٣٥/٢.

(٤) سورة الممتحنة، الآية ٨.

ثانيا: مقصد الاعتدال في السنة:

بعد أن تناولنا بعض نصوص القرآن الكريم في بيان تأصيل الاعتدال، نتناول بعض نصوص السنة المطهرة التي تعالج الاعتدال وتدعو له.

١. عن ابن عباس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ غداةَ العقبة وهو على راحلته: (هَاتِ الْقُطْ لِي، فلقطتُ له حصيات هنّ حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ) [١].

وجه الدلالة: دل الحديث على ان النبي ﷺ يطلب التيسير والاعتدال في أداء العبادة بعيدا عن الغلو والتعصب والتشديد.

٢. قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[٢].

وجه الدلالة: امر الرسول ﷺ اسلكوا ما فيه اليسر والسهولة فيما يتعلَّق بأعمالكم، ومعاملاتكم، وعباداتكم، وفي المقابل نهى الرسول ﷺ عن اتباع طرق العسر في العبادات، والمعاملات رفعاً للمعاناة، ودفعاً للمشقة في حياة الإنسان، ونهى أيضاً عن التنفير الذي يؤدي إلى حدوث المشقة والمعاناة.

٣. أمر النبي ﷺ بالاعتدال في كل شيء؛ حيث قال: (... والقَصْدَ القَصْدَ، تبلغوا)[٣].

وجه الدلالة: والاعتدال أو الاقتصاد أو التوسط فضيلة مستحبة في الأمور كلها. وهو خلق ينبغي أن يتحلى به المسلم في كل جوانب حياته، من عبادة وعمل وإنفاق ومأكل ومشرب وطعام [٤].

---

(١) مسند أحمد ٢١٥/١.

(٢) صحيح البخاري ٢٥/١.

(٣) صحيح البخاري ٢٣٧٣/٥.

(٤) الاعتدال والتطرف وخطورة الموضوع دينيا وسياسيا وأخلاقيا الكاتب: ضياء الشكرجي http://www.nasmaa.com/ArticleShow.aspx

الفرع الثاني: تأصيل مقصد السلام

يُعد السلام في مقدمة القيم الإنسانية الرفيعة، ذو قيمة أساسية ومحورية في الحياة، سعى الاسلام على نشره وبثه، لما فيه من أنزال السكينة في نفوس الناس، ونشر الاستقرار في الأوطان، وهو أساس الدعوة في دار الجزاء، قال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وإن أول ما نطق به رسول الله ﷺ، حين دخول ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ»[2]، أرسى دعائم السلام، ودعا إلى التعايش المشترك بين الناس على اختلاف أعراقهم وألوانهم، وأسس منهجاً حضارياً في التعامل مع أهل الأديان المختلفة، يقوم على السلم، ونبذ العنف والتطرف، وتعزيز التعاون البناء في المجالات الإنسانية المتعددة من اقتصاد وتجارة وغيرها، فأصبح بذلك مجتمع المدينة أنموذجاً رائعاً في السلم والوئام، انطلقت منه العزيمة الصادقة والدعوة إلى تحقيق المساواة، وإقامة العدل بين بني الإنسان، ليرفرف السلام على البشرية بأسرها، وتنعم في رحابه[3].

أولا: تأصيل مقصد السلام من القرآن الكريم

إن للنصوص القرآنية تنظيما بديعا في إقامة علاقة المسلمين بغيرهم من الكفار وفق مبد السلام، ليتسنى للجميع التعايش فيما بينهم واقامة العلاقات وان اختلفت الاواصر بعيدا عن خطاب الكراهية ونبذ العنف والتطرف، ومن تلك النصوص التي تلامس حقيقة هذا المقصد ما يأتي:

---

(١) سورة يونس، الآية/٢٥.

(٢) سنن الترمذي ٢٣٣/٤، وقال حديث صحيح.

(٣) ينظر: مقصِد السلام في شريعة الإسلام د. أحمد الريسوني.

أولا: قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾(١).

وجه الدلالة: أمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلم وأن يوافقوا من سأله منهم. قال الامام الطبري: "وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه"، فهي ترشد إلى ضرورة الاستجابة للسلام بمجرد ظهور الجنوح، أي الرغبة والميل عند الأعداء، فأحرى إذا وقع الاتفاق على ذلك بين مختلف الدول.

ثانيا: قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢).

وجه الدلالة: في الآية نداء وأمر للمؤمنين بأن يدخلوا جميعا في السلم. لأنه مطلب كلي شامل، يوجه اللهُ تعالى كافةَ المؤمنين للإقبال عليه والدخول تحت ظله، وبذلك تكون الأية فيها دلالة واضحة وصريحة في أن مقصد الإسلام هو الوصول إلى اتفاق يجرم الحروب ويقرر السلام. وهذا البُعد كلي فالدخول في السلم مطلوب من كافة الناس ولكافة الناس وفي كافة المجالات والأحوال، بمعنى أن الدخول في السلام ينبغي أن يكون هو المسلك العام في حياة الناس كافة: السلم مع الفطرة، والسلم بين الأقارب، والسلم في الحياة الزوجية، والسلم بين الجيران، إلى أن نصل إلى السلام في علاقات الأمم والدول(٣).

ثالثا: قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(٤).

---

(١) سورة الانفال، الآية ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

(٣) ينظر: مقصِد السلام في شريعة الإسلام د. أحمد الريسوني.

(٤) سورة النساء، الآية ٩٠.

وجه الدلالة: إن اعتزلوكم ولم يقاتلوكم وألقوا السلم واعترفوا بأنهم لا يملكون طاقة اختيار بين قتال المسلمين أو قتال قومهم، فليس لكم أيها المسلمون حجة أن تعتدوا عليهم؛ فالاعتداء عليهم في مثل هذه الحالة مما نهى الله عنه [١].

رابعا: قوله أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢].

وجه الدلالة: أمر الله تعالى المؤمنين بالتثبت من حقائق الناس الذين يلقونهم إذا ما خرجوا للجهاد في سبيل الله فلا يقاتلون ولا يقتلون إلّا العدو الكافر ولا يقولون لمن ألقى إليهم السلام أو أعلن المسالمة أو الإسلام لست مؤمنا اجتهادا منهم بأنه غير صادق[٣]، فهذا تهديد ووعيد بما يفيد النهي عن التهافت في القتل، والأمر بأن يكونوا محترزين، محتاطين في ذلك[٤].

ثانيا: تأصيل مقصد السلام من السنة:

كان للسنة النبوية مشهدا حاضرا في إقامة دعائم السلام والوئام ونشر قيم الرفق والعفو، والتسامح والتصالح، زمنا طويلا، وتجرع لأجله هو وأصحابه كل أشكال الظلم والعدوان والأذى، ولم يرفعوا سيف الدفاع إلا بعد أن أصبحوا في مفرق طريقين لا ثالث لهما: طريق البقاء، وطريق الفناء. فهذا وذاك يدلان على كون الإسلام متشوفا للسلم حريصا على الأمن إلى أقصى حد ممكن، وأنه يعتبر السلم قاعدة، والحرب ضرورة. ومما جاء مؤيدا لهذا المقصد ما يأتي:

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي ٤/٢٥٣٤.

(٢) سورة النساء، الاية ٩٤.

(٣) ينظر: التفسير الحديث ٨/٢١١.

(٤) ينظر: الأساس في التفسير ٢/١١٥٥.

أولا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"(١).

وجه الدلالة: أفاد الحديث أن من قتل معاهدًا بغير حق، والمعاهد هو من دخل أرض الإسلام بعهد وأمان، أو كان من أهل الذمة، من الكفار، لم يمكنه الله من دخول الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين سنة، وهذا دلالة على بعده عنها، وهو يفيد حرص الإسلام على الحفاظ على الدماء المعصومة من المعاهدين والذميين، وأن قتلهم بغير حق من كبائر الذنوب(٢).

ثانيا: عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أوصاه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ: اغْزُوا بِسْمِ اللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلاَثِ خِصَالٍ، أَوْ خِلاَلٍ، أَيَّتُهَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَالتَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِي عَلَى الأَعْرَابِ، لَيْسَ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا، فَإِنْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ حِصْنًا فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَمَ أَصْحَابِكَ، لأَنَّكُمْ إِنْ تَخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ

(١) صحيح البخاري ١٩٥/٨.

(٢) ينظر: توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام٤٤٧/٦، وتسهيل الإلمام بفقه الأحاديث من بلوغ المرام ٤٠٠/١.

أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلاَ تُنْزِلُوهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ، أَوْ نَحْوَ هَذَا"(١).

وجه الدلالة: وصايا الرسول ﷺ لأصحابه ﷺ جميعًا عندما كان يُرسلهم لدعوة الناس إلى الإسلام، والأخذ بأيديهم إلى طريق الله تعالى، وفَتْحِ الأبواب أمام الدعوة الإسلامية حتى تصل لكل البشر، وحتى لا يُحرَمَ أحدٌ من نُور الإسلام العظيم، فكان يزرع في قلوب أصحابه كمال الأخلاق ونُبل المقصد ؛ لذا فقد كان يرحم الغِلمان وصغار السن الذين لا يملكون أمرهم، وينهى عن قتل النساء فلا يجوز أن تتعدَّى الحرب إلى المدنيين الذين لا يشتركون فيها من الشيوخ والنساء والأطفال والعجزة، أو العُبَّاد المنقطعين للعبادة، أو العلماء المنقطعين للعلم، لأن القتال هو لمن يقاتلنا فقط(٢).

ثالثا: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"(٣).

وجه الدلالة: لإسلامُ يُقدّم السلم على الحرب ولا يأتي الحرب إلاّ لداعٍ دينيٍّ مهمٍّ، وكذلك هنا أرادَ ألاّ يهيجَ مكّة وارتضى أنْ يُجرِيَ مع المشركين صلحاً. ما زال يحدبُ رسول الله ﷺ، يحدب على قومه قريش، ويودُّ لو سالموه، إذنْ لجرتِ الأمور على هِينة، ثُمَّ يُقسِمُ أنْ لو دَعَوْه إلى أيّة خُطّة فيها تعظيم لحرمات البيت لأجابهم إليها غيرَ متوانٍ. قال الخطابي: "إن حرمات الله هي القتال في الحرم والجنوح إلى المسالمة والكف عن إراقة الدماء، فإنما قبل النبي ﷺ الصلح مع قريش ورضي بشروطهم التي شقّت على المسلمين، طلباً للسلام "(٤).

---

(١) سنن الترمذي ٢١٤/٣ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: التفسير الحديث ٣٦٧/٣.

(٣) صحيح البخاري ٩٥/٧، مسند أحمد ٣٢٩/٤.

(٤) تفسير القرآن الكريم لمحمد أحمد إسماعيل المقدم ١٢٨/٥.

المبحث الثالث:

أهمية الاعتدال والسلام في نشر التعايش السلمي وبناء القيم

لا شك في أن الاعتدال أمر ضروري وجوهري في المجتمعات الحديثة وفي واقعنا الراهن بكل ما يحمله من قيمة إنسانية عظيمة، كما ان ثقافة الاعتدال ليست مجرد ترف فكري وإنما هو الأسلوب الأساس القادر على جعل المجتمع مكاناً صالحاً للحياة، فميزة الاعتدال في التعامل مع الناس انه يجنبك الشطط بكل معانيه، ويمنحك شخصية متزنة ناضجة، قادرة على تحييد الآثار السيئة لذلك التعامل، وأن الدعوة إليه مراعاة المنظومة الشرعية والعلمية التي تواجه الأفكار الهدامة التي تسببت في تحول المجتمعات الإسلامية من سلمية مسالمة إلى مجتمعات مشحونة بالخوف وعدم الأمن والاستقرار، ومنشأ ذلك غياب الاعتدال الذي يؤذن بتصاعد حدة التطرف والعنف الذي يشهده العالم اليوم في جميع المجالات وفي ميدان المشاعر والأفكار والأقوال والسلوك الفردي والاجتماعي، فكان لابد من بث مفاهيم دعوية وخطابات متزنة تدعو المسلمين الى الوسطية والاعتدال عاطفةً وتفكيرا وسلوكا، فهو أصلح الأمور دائماً، وهو الصفة التي لا يستطيع أن يعيبها أحد، بل هو جامع الفضائل(١)، فإذا كان الاعتدال سائدا في الفكر قائدا في العمل والمنهج غابت فقاعت التطرف وذابت قيود الفرقة وسادت وشائج الصلة والاحترام المتبادل مع الموافقين والمخالفين، وظهر ذا جليا في تأسيي قاعدة الاعتدال الكبرى في جميع الأحوال، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٢)، بدليل الأحكام التي شرعها في حقهم، كالنهي عن الغدر بهم، والتمثيل بهم، وقتل من ليس أهلاً للقتال،

(١) ينظر: ترسيخ ثقافة الاعتدال في المنظومة المجتمعية بين الواقع والطموحم. د. خمائل شاكر الجمالي/مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد بحث مقدم الى المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، ص٥.

(٢) سورة التوبة، الاية ٧.

والأمر بإكرام رسلهم، والرفق بأسراهم، وعدم التفريق بين الأم وولدها إذا وقعوا في الأسر، فمقصد السلام: إخمادَ الحروب ونشرَ السلام والوئام بين الناس، أفرادا وجماعات(١).

والآيات القرآنية التي نظمت علاقة المسلمين بغيرهم من الكفار تُظهر بجلاء أن أصل هذه العلاقة قائم على السلام، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾(٢)، كما يبين الخطاب القرآني أن الكراهية والعنف ليسا من وسائل الدعوة إلى الإسلام، بل إن العدل الإسلامي اقتضى أنه لا مجال إلى الإكراه على الدين، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾(٣)، وقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾(٤) وقد جعل سبحانه الأمن صنوا للطعام، مساويا له في الأهمية والضرورة، فالسلام والأمان من ضرورات الحياة، كالطعام والشراب، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾، وقد كان ﷺ يحدث أصحابه عن حلف بقوله "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"(٥) وكانت غاية هذا الحلف هي إنهاء الحروب بين القبائل، والاتفاق على طريقة للصلح عند الضرورة، وذلك ما يدل على إعجابه عليه السلام بهذا العمل واستعداده للاستجابة لكل دعوة تنادى بتعايش سلمى بين الناس، لأن في ذلك ضمانا للأمن والهناء.

---

(١) ينظر: مقصد السلام في شريعة الإسلام، د. أحمد الريسوني ص ٩.

(٢) سورة الانفال، الاية ٦١.

(٣) سورة الغاشية، الاية ٢١.

(٤) سورة البقرة، الاية ٢٥٦.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥٩٦/٦

ISSN (Online): 2706 -8722 ISSN (Print): 2071-6028

المبحث الرابع:
منهج الشريعة الإسلامية في تطبيق مقصد الاعتدال والسلام في الواقع

مقصد السلام مبني ومرتبط مباشرة بالعدل، بل هو والعدل صنوان لا يفترقان، كما أن العدل ليس قاصرا على المجتمع الإسلامي فحسب، بل هو مقصد أساسي في العلاقات الإنسانية عامة، وبذا نطق الخطاب الرباني قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١).

فالاهتمام بالدعوة للمشتركات وطرح الخلافات الفرعية جانبا، من أهم السمات التي تميز الفكر المعتدل عن الفكر المتطرف، فالفكر المعتدل يجمع ولا يفرق، ويبشر ولا ينفر، وييسر ولا يعسر، ولذلك يركز على مواضع الاتفاق أكثر من تركيزه على مواضع الخلاف، بل إنه يجعل من مواضع الاتفاق وسيلة لتصحيح ومراجعة مواضع الخلاف ولهذا دعا القرآن الكريم إلى رعاية جوانب الوفاق في الخطاب مع الآخرين، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢).

فذكر القرآن الكريم أن جوانب مهمة وأساسية تجمعنا معهم، ويمكننا من خلالها أن نتحاور ونتقارب ونتعايش. فبات لنا أن تحقيق السلم الاجتماعي بجميع معانيه ومراتبه مقصد من مقاصد الدين الكبرى التي ورد التنصيص عليها في النصوص الكثيرة، وحينما عرف الرسول ﷺ المسلم ذكر أن: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٣).

وهكذا ورد وصف المؤمن، ففي الحديث: (ألا أخبركم بالمؤمن: من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فهذه الأحاديث وغيرها

---

(١) سورة الحديد، الاية ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الاية ٦٤.

(٣) صحيح مسلم ٤٨/١.

تشير إلى أن من مقاصد الشريعة الاسلامية الكبرى تحقيق السلم الاجتماعي الذي يشمل بمفهومه الواسع حماية المجتمع من كل أنواع الانتهاكات التي ترفع عنه استقراره وطمأنينته وراحته، وهذا أمر مسلم له، لكن الذي يلبس عليه دعاوى التيارات والاتجاهات التي تنادي بأنها وسطية معتدلة، وضابط التمييز بينهما أن نقول: الحقيقة دائما مع المعاني لا المباني، فالعبرة ليست برفع شعار الوسطية والاعتدال وإنما بتحقّق ذلك المنهج على أرض الواقع، فالوسطية منهج شرعي له أصوله وأحكامه، لذا يقاس كل طائفة بما عليه منهج النبي ﷺ، فما كان منضبطًا بأقواله وأفعاله فهو المعتدل الوسطي، وما خالفها فهو مجانب لمنهج الوسطية والاعتدال بقدر وقوعه في المخالفة للهدي النبوي، فالاعتدال منهج شرعي قائم على علمٍ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فرضه رسول الله على واقعه الذي يعيش فيه، فهذا هو الميزان الذي يضبط باب الاعتدال من دعاوى المتساهلين والغلاة، فلا بد من كشف هذا التلبيس المتستر باسم الاعتدال.

فالقوانين والدساتير بالنسبة إلى غير دولة الرسول ﷺ تجدها ملأى بما يضج بهذين المبدأين، وما يمت إليهما بصلة، ويستطيع الباحث في هذه المجالات أن يقطع بعدم خلو قانون أي دولة في العالم من هذه المبادئ ولكن مع ذلك نجد العالم يضج بالانتهاكات لحقوق الإنسان، والسر يكمن في وجوده تنظيرا، وخلو الواقع منه، فالقضية بالنسبة للقوانين قضية صورية لا حقيقية، أما بالنسبة إلى حكومة الرسول ﷺ فإنّ الأمر مختلف تماماً إذ إنك تجد السلم نظرياً وعملياً، فمع الإيذاء الذي كان يتحمله من اهل مكة الا ان روح التسامح كانت تتفتق من جبينه وتسمو في سمائه فحين دخل مكة منتصراً فاتحاً، بعد أن خرج منها مكرهاً مستضعفاً فحين رأى سادة قريش عند فتح مكة، توجه إليهم قائلاً:ما تقولون إني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال ﷺ: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء)

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ، فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ، فَهُوَ آمِنٌ"(١).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه(٢).

قال النووي: "فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه، وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر".

(١) صحيح مسلم ٥/٧٤.

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٤/٢٢٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي أكرمنا بشريعة الاسلام، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة والسلام، وعلى اله واصحابه نجوم الظلام... وبعد:

فقد تطرقت صفحات هذا البحث وخاضت في مقصدين من مقاصد حفظ الدين والنفس والعقل، وهما الاعتدال والسلم بالجانب الايجابي، والتطرف والحرب بالجانب السلبي، وما كان لهذين المقصدين من تأثير بليغ على ضروريات الشريعة السمحة، وكان من بين النتائج التي توصلنا إليها ما يأتي:

١. السلم والاعتدال مقصدان ضروريان من مقاصد الشريعة السمحاء الكبرة، وهما وسيلتان لحفظ الدين والنفس والعقل، ليبنيا اجيالا واعية محصنة فكريا بالسعة وقبول الآخرين.
٢. إن الحروب هي أعظم خطر على حق الحياة، وأن تحقيق السلام العالمي الشامل هو أعظم حفظ لهذا الحق. والسلام أول الاديان سعيا لتحقيق هذا المقصد للوصول إلى اتفاق عام يمنع تحريم الحرب وإقرار السلام الشامل الذي يضمن حق الحياة الامنة فالرسل بعثت بجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها بمعنى أن مقصد السلام التام حتى إن لم يصل بنا عمليا إلا إلى تكثير السلم وتقليل الحرب.
٣. إن للإنسان حقوقا مصانة في الشريعة الغراء، تمثلت في تحريره من العبودية للإنسان، كما تجلت في نصرته للمستضعفين، وحماية الحريات التي في مقدمها حرية الفكر والعقيدة، حتى لا تقف النظم الطاغوتية ضد وصول الإشعاع الإسلامي إلى الناس قاطبة.

٤. أن الكراهية والعنف ليسا من وسائل الدعوة إلى الإسلام، بل إن العدل الإسلامي اقتضى أنه لا مجال إلى الإكراه على الدين.

٥. يبقى مفهوم الخلافة العامة للإنسان مطروحا من قبل الإسلام على الإنسانية قاطبة أرضية مشتركة صالحة للتعاون على أساسها برغم تباين العقائد والأجناس واللغات.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأساس في التفسير: سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٢. الاعتدال والتطرف وخطورة الموضوع دينيا وسياسيا وأخلاقيا الكاتب: ضياء الشكرجي http://www.nasmaa.com/ArticleShow.aspx

٣. ترسيخ ثقافة الاعتدال في المنظومة المجتمعية بين الواقع والطموحم. د. خمائل شاكر الجمالي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد بحث مقدم الى (المؤتمر الوطني حول الاعتدال في الدين والسياسة) يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧.

٤. تسهيل الإلمام بفقه الأحاديث من بلوغ المرام: الشيخ صالح الفوزان، عناية عبد السلام السليمان، مؤسسة الرسالة، ط١.

٥. التعريفات، لابي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، دار الشؤون الثقافية العامة.

٦. تفسير السعدي، يسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧. تفسير الشعراوي «الخواطر»، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

٨. تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل القرآن»، لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩. تفسير القرآن الكريم لمحمد أحمد إسماعيل المقدم.

١٠. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، محمد بن عمر الزمخشري، مطبعة دار التراث العربي، ١٤٠٧هـ.
١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.
١٢. توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام: عبد الله البسام، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط٥، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٣. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
١٤. سنن البيهقي الكبرى، للامام احمد بن الحسين بن علي ابو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعاف العربية، بحيدر آباد الركن، الهند، ١٣٥٤هـ.
١٥. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.
١٧. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق وتعليق د. موسى شاهين لاشين، د. احمد عمر هاشم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨. العين لابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٩. لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن على احمد بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٠. المحكم والمحيط الأعظم لابي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢١. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت١٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٢. مسند الامام احمد، لابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٢٣. المطلع على ألفاظ المقنع: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٤. المفردات في غريب القرآن، لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٥. منحة العلام في شرح بلوغ المرام: عبد الله الفوزان، طبعة دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٦. الموافقات في اصول الاحكام، لأبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، مطبعة الميداني، القاهرة.

٢٧. النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ: محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف ببطال (ت٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.